



## تَدَاوُلِيَّةُ الْخِطَابِ لَدَى الْبَشِيرِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ مُقَارَبَةٌ حِجَاجِيَّةٌ لِمَقَال: الْإِنْسَانِيَّةُ الْآمَهُ، وَاسْتِغَاثَتُهَا

الباحث: عبد الجليل بوطبل  
جامعة وهران 01 أحمد بن بلة-وهران(الجزائر)  
[bouabdfree@gmail.com](mailto:bouabdfree@gmail.com)

\*\*\*\*\*

تاريخ النشر: 2018/00/00

تاريخ القبول: 2020/11/26

تاريخ الإيداع: 2020/10/27

ملخص:

تسعى هذه الورقة لدراسة الخطاب الجزائري والمتمثل في نتاج الشيخ البشير الإبراهيمي من خلال البعد التداولي والحجاجي؛ حيث إنَّ الحجاج يُعدُّ مبحثاً من مباحث التداولية ومن الحقول المعرفية المتاخمة له؛ فإذا لا بدَّ من ذلك فلتكن دراستنا هي محاولة معرفة مدى تعالق وتناغم البعدين في هذه المدونة، وكذا تتبُّع واستقراء مقاصد الخطاب والنظر إلى وسائله البلاغية، ودراسة الأفعال الكلامية وما تُؤديه في بناء الحجاج داخل الخطاب وكذا إبراز قيمة البلاغة ووسائلها في خلق حجاج إقناعي إنجازي. كلمات مفتاحية: التداولية؛ الحجاج؛ الخطاب الجزائري؛ البشير الإبراهيمي.

### Abstract:

This research paper seeks to study a model of the Algerian discourse According to Sheikh Al-Basheer Al-Ibrahimi From a pragmatic and argumentative perspective Considering that the argument is one of the Researches pragmatism. Therefore, our study seeks to know the extent of their union in this blog, and tracking and extrapolating. The intents of The Discourse And looking at its reporting methods, The study of acts speech and what they perform for the argumentative within the discourse, As well as showing the value of rhetoric and its means in creating an entertaining, persuasive argument.

**Key words:** The pragmatism; The argumentative; the Algerian discours; Al-Basheer Al-Ibrahimi.

تصدير:

إنَّه لمن الواضح جدًّا للمتأمل في الخطب والمقالات التي سبَّكها الشيخ البشير الإبراهيمي والتي جُمع أغلبها في الآثار، يلقي اكتساءها بالأبعاد الحجاجية والتداولية، وتكثيفه لها بالحجة والبرهان القاطع والبيان الساطع؛ لكون المقالة - الإنسانية الآمها، واستغاثتها أنموذجاً<sup>1</sup> كلاماً مكتوباً يقصد به التأثير في القارئ وإحداث انفعال مؤقت أو مستمر<sup>2</sup>؛ فهو بذلك يقدم خطاباً مشحوناً بالحجاج ذا بعد إقناعي استيمالي للمخاطب، مستنداً إلى العوامل والروابط الحجاجية والأفعال الكلامية والتي لها إنجازية وقصدية في تعالق وتواشج هذا الخطاب؛ حيث إنَّه لا نص ولا خطاب دون قصد<sup>3</sup>.



ومن هنا جاز لنا في هذه الدراسة البحث في حجاجية خطاب البشير الإبراهيمي وتبيان أبعاده الإقناعية ومقاصده وقواه الإنجازية.

## 1. مفهوم التداولية Pragmatique

1.1. لغة: جذر "دول" يحمل عدة معانٍ متباينة، لكن تدور في حيز واحد ألا وهو التحول والصيرورة، فقد جاء في اللسان «وتداولنا الأمر: أخذناه بالدول، وقالوا: دوايك أي مداولة على الأمر؛ قال سيبويه: وإن شئت حملته على أنه وقع في هذه الحال، ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة، ودال الثوب يدول أي يلي، وقد جعل ودّه يدول»<sup>4</sup>.

وجاء في جمهرة اللغة، «دوايك من المداولة، وقال أيضا: من التداول يُقال: تداول القوم فلانا، إذا تعاوروه بالضرب»<sup>5</sup>.

1.2. اصطلاحاً: فتهتم التداولية بدراسة اللغة في الإستعمال<sup>6</sup>؛ فهي «ليست علماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الإستعمال»<sup>7</sup>، من أجل تبين قواه الإنجازية وبناء خطاب تأثيري اقناعي.

وتبعاً لذلك فهي «نظام لساني فرعي يهتم تحديداً بإستعمال الكلام في التواصل»<sup>8</sup>؛ ولهذا فالدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في سياق التواصل لأن اللغة تؤدي وظائفها فيه<sup>9</sup>؛ إذا فهي تدرس أحوال فضاء الإستعمال وسياقاته حسب قصيدة المتكلم ومقاصد المخاطب.

## 2. مفهوم الحجاج: Argumentation

1.2. لغة: ورد في لسان العرب: «الحجة: حُجٌّ وحجاج، وحاجه مُحاجةً وحجاجاً: نازعه الحجة، وحجّه يحجّه حجاجاً: غلبه على حجته، وفي الحديث: فحج آدم موسى؛ أي غلبه بالحجة، واحتج بالشيء: اتخذ حجة؛ قال الأزهري: إنما سُميت حجة لأنها تُحج أي تقتصد لأن القصد لها وإليها؛ وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك. وفي حديث الدجال: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه؛ أي مُحاجه ومُغالبه بإظهار الحجة عليه. والحجة: الدليل والبرهان»<sup>10</sup>.

ووقفنا على تعريف آخر وهو «الحج: الغلبة بالحجة، يُقال: حجة يحج حجاجاً، إذا غلبه على حجته، وفي حديث معاوية: فجعلت أحج خصمي؛ أي أغلبه بالحجة»<sup>11</sup>، وفي نفس المنحى جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة، «احتج بكذا: استند إليه، اتخذه حجة له وعُدراً "احتج بأقدميته لنيل ترقية"، واحتج عليه: أقام الحجة



والبرهان<sup>12</sup>؛ ونخلص من ذلك إلى أنَّ الحجاج عند العرب هو الغلبة بالبرهان ومقارعة الخصم بالحجة والبيان، هذا وبالعودة إلى الأصول اللاتينية نجد أنَّ لفظة Argument من الفعل اللاتيني Arguere؛ وتعني جعل الشيء واضحاً ولامعاً وظاهراً، وهي من جذر إغريقي argues ويعني أبيضاً لامعاً<sup>13</sup>.

2.2. اصطلاحاً: يعرف بيرلمان perelman الحجاج على أنه «حَمْلُ المُتَلَقِّي على الإقناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع»<sup>14</sup>. ويرى طه عبد الرحمن أنه «كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»<sup>15</sup>.

وعطفاً على ما ذكر نلفي تعريفاً جامعاً للحجاج كونه: «علماً لغوياً أو عملية لسانية اتصالية، الغاية منها الإقناع، الذي يعتمد على وسائل منطقية ولغوية خاصة في غاية الوضوح»<sup>16</sup>، فمن خلال هاته التعاريف يلزم القول أنَّ الحجاج كلام مشحون بالحجج غايته إقناع المخاطب.

3. حجاجية الخطاب الإبراهيمي: إنَّ الناظر في خطاب البشير الإبراهيمي يجد أنَّ لها مسحة حجاجية إقناعية يحاول من خلالها تثبيت رأي وتغيير معتقد وإفحام، ببيان الفكرة وتعضيدها بالحجج والبراهين؛ مستنداً إلى عدّة دعائم ليحقق التّواصل والاستمالة معاً؛ أنَّ وظف الروابط والعوامل الحجاجية والتكرار والاستعارة قصد المُحاجة والإبلاغ والتّفعية، دون أنَّ ننسى اللّغة العالية التي يحسنها، هي الأخرى بلّغ بها مقاصده لتحقيق تفاعلية وقوة إنجازية بينه وبين المخاطبين.

4. علائقية التّداولية بالحجاج: لا أحد ينكر أنَّه توجد علاقة بين التّداولية والحجاج؛ فالحجاج إقناع المخاطب بأمرٍ يجهله أو ينكره بلغة حجاجية غرضها التأثير والإنجاز، وهذا ما يتبناه الفكر التّداولي؛ فالحجاج «مجالٌ غنيٌّ من مجالات التّداولية»<sup>17</sup>؛ والتي تدرس اللّغة بعدياً ملمحاً تواصلياً اجتماعياً خطابياً<sup>18</sup>، فالحجاج قائم على مبدأ الإفهام، والإفادة ملمحٌ تداولي.

وكذلك نلفي أنَّ ديكرُو Oswald Ducrot وآنسكومبر Jean- Claude Anscombre بلور مشروعاً حول التداولية المدمجة والمتمثلة في الدلالة والتداولية التي اهتمت بالخصائص الحجاجية للملفوظ، ويتضح جلياً مما تقدم ذكره أنَّ الحجاج يتكئ على التّداولية لتبيان الحجة من خلال اللّغة والسّياق حيث إنَّهما أداتان تُحققان للأفعال إنجازاً وتأثيراً، وأنَّ الحجاج بُعدٌ خطابيٌّ تواصليّ قصده التأثير والاستمالة، وما سبق ذكره طرحٌ تداولي.



## 5. مقارنة تداولية حجاجية للمدونة:

## 1.5. حجاجية الأفعال الكلامية:

أسس لنظرية أفعال الكلام Les actes de parole جون أوستين "John Austin" في كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات"؛ وهي إجراء تداولي تتجسد باللغة التي يستعمل بها المتكلم المخاطب، فهي «وسيلة اتصال وإيصال تؤدي بالمستمع إلى القيام بفعل، أو الكف عنه، أو تغيير سلوكه أو معتقده، ويحصل هذا لحظة التلفظ، ويستلزم متكلماً أو محاججاً ومستمعاً»<sup>19</sup>، إذن فهي النواة المركزية للممارسة التداولية التي تقوم على إنجازية الأفعال والمتسمة بالحجائية. وقد قسمها أوستين إلى ثلاثة أنواع: الفعل اللفظي / الفعل الإنجازي / الفعل التأثيري.

ثم قدم لها تصنيفاً آخر على أساس القوى الإنجازية فجعلها خمساً هي: أفعال الأحكام / أفعال القرارات / أفعال التعهد / أفعال السلوك / أفعال الإيضاح<sup>20</sup>، ثم أعيدت صياغتها من قبل جون سيرل "John Searle" إلى خمسة أنواع هي: الإخباريات / التوجيهيات / الإلزاميات / التعبيرات / الإعلانات<sup>21</sup>.

وكما أضاف الفعل القضوي لمكونات الفعل الكلامي المباشر، وتعمق في غير المباشر؛ لكون بعض الأفعال تفصح عن معانٍ غير معبر عنها في الفعل المحتوى القضوي<sup>22</sup>، نلمح مما سبق أن الأفعال الكلامية وسيلة إيصال واتصال تعتمد إلى التأثير في المخاطب لينجز هاته الأفعال، وهذا من وظائف الحجاج، وخاصة أفعال الإيضاح؛ والتي تستخدم لبيان رأي وذكر حجة، فهي ترتبط بالحجاج<sup>23</sup>.

إذا عدنا إلى مقال الإبراهيمي نجده أنه استعمل الأفعال الكلامية ليستعمل بها المخاطب للتأثير فيه، وفي الوقت نفسه نتحرى بها مقاصده، ونستند إلى تقسيم "سيرل" في رصد هذه الأفعال؛ ولقد اخترنا تصنيفه لأنه وسّع مجال بحثه وتعمق فيه، وهذا ما سيساعدنا في هذه الدراسة.

1.1.5. الإخباريات Assertives: يُقابل هذا الفعل في تصنيفات "أوستين" أفعال الإيضاح وأفعال الأحكام؛ فهي بدورها «تعكس قدرة المتكلم على إصدار الأحكام حسب موقعه الاجتماعي ووضعه الاعتباري كأن يكون قاضياً أو حاكماً ومن ذلك مثلاً: اعترض - أعلن - صرح - وافق - إنهم...»<sup>24</sup> أيضاً وعليه فالإبراهيمي وهو المصريح بهذه الأحكام معلناً ومعتزلاً عليها في الوقت نفسه، كما أنه نقل عدّة حقائق؛ نحو قوله: "إنّ الإنسانية تلك الأمّ الرؤوم، الإنسانية تتخبط في المصائب...؛ فهذا إخبار عن أحوال الإنسانية وصفاتها، وكما أنه إنهم وصرح بأنّ الإنسانية تستغيث من داهية الحرب وغائلة الفقر.

جاءت أفعال هذه الخطبة تتراوح بين الماضي والحاضر، فأفعال الماضية مثلاً وجدنا: "أتلفت، تمثلت، كان، استغاثت، أغاثها، قيض، مدّوا، عرفوا، أحسنوا، فعلوا، دفعوا، عرف، قاموا"؛ إنّ هذه الأفعال تندرج تحت



أفعال الأحكام دلالتها التّقرير حيئاً مثل: ... ويلات الحروب الّتي أتلّفت؛ فهو يقرّ بأنّ الإنسانية أتلّفتها الحروب، وفي قوله: استغاثت الإنسانية من المفسدين؛ فهو يثبت بأنّ الإنسانية تستغيث، ويلزم أبنائها بغوثها ... ومن الإلزام قوله: ومدّوا أيديهم متعاضدين، وعرفوا كيف يحاربون الفقر؛ فهذا إلزام لهم وتحفيز لنجدة الإنسانية.

أمّا الأفعال المضارعة فهذا بيانها: " تحابي، تميز، يستعبد، يستخدم، يكون، يتوسلون، تستغيث، لا ندري، يحاربون، تساند، لدفعوا، تسكن ..."; فنجدته مثلاً في " يحاربون، تساند" يصدر حكماً مفاده لو تساند الأغنياء ويحاربون الفقر لدفعوا عن العالم غارة عشواء والمتمثلة في الفقر، فالفعل المضارع استشراف للمستقبل ونظرة تأملية وتصوير له، وفي الوقت ذاته تجعل المخاطب يتماشى وتراتبية مقاصد الإبراهيمي، وتدعوه للاستمرارية وتغيير الوضع الراهن.

**2.1.5. التّوجيهات Directives:** وغرض التّوجيه جعل المتلقي ينجز عملاً محدداً، كالإذن والنّصح والإرشاد والاستفهام والأمر، ويقابل هذا تصنيف "أوستين" أفعال السلوك وأفعال القرارات<sup>25</sup>؛ وعليه فالإبراهيمي قدّم توجيهات نحو: "ألا فليرحم الإنسانية من في قلبه رحمة، بل لو بذل أغنياء المسلمين ما أوجب عليهم الإسلام من زكاة ..."، فهو يطلب من المخاطب في ثوب أمرٍ ناصحٍ، ويلزمه بإنجاز فعل معيّن وترك مقابله، لأنّ الأمر بالشّيء نهي عن ضده، ومن بين الوسائل التّوجيهية الّتي اعتمدها الإبراهيمي التّحذير، كتحذير المخاطب من أعداء الإنسانية "كالشعوذين، المحتالين، المبتدعين، الضّالين، المضلين..."

والاستفهام كقوله: هل من منجد؟ ولماذا لا ندري؟ فهما استفهامان بلاغيان إبلاغيان يوجّه بهما لنجدة ما بقي من الإنسانية؛ فهو أسلوب غير مباشر فيه تنبيه وتأثير، القصد منه الإجابة بإنجاز فعلي، وتبيان العواقب والتّحذير منها مثل: "شر الحرب، تدابر وتقاطع الأبناء، بث المكائد، استعباد الضّعفاء، التّوسل بالدّين لجمع الدّنيا، طواغيت الاستبداد ...". فكلها تحذيرات تصبّ في دلاء التّوجيه ليرتوي منها المخاطب وتحقق له المنفعة والقوة الإنجازية ومآرب أخرى.

**3.1.5. الإلتزاميات Commissives:** وفيها يلتزم المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل وشرطه الإخلاص وهو القصد<sup>26</sup>، وعليه فالبشير الإبراهيمي يلزم المخاطب بكلامه ويلتزم هو بما يقول أيضاً؛ أي أنّه كان صادقاً في كلامه مما تحقق فيه شرط الإخلاص، ولهذا جاء بنماذج من خطابه بعدّة أفعال تحريضية حجاجية منها: "إنّما الّذي ندرية ونقوله ولا نخفيه ..."; فهو يقدّم نصائح للإنسانية جمعاء، مخلص في دعواه، وهذا ما يتضح في قوله: "هذه نفثة مصدور، وللنّفوس ثورة ثمّ تسكن"، وهنا يروض النّفس ويلزمها بتقبل الواقع المرير ويلزم المخاطب بالأخذ بكلامه لأنّه ذو دراسة ودراية.



4.1.5. التَّعْبِيرِيَّات Expressives: يدخل في هذا التَّفْرِيع أفعال الشُّكر والإِعْتذار والتَّعْزِيَّة والتَّرحيب<sup>27</sup> وتقابلهما أفعال الممارسة "السُّلوك" عند "أوستين"، ويتجلى هذا في شكره لمن أغاث الإنسانية مثل: "فأغاثها أنصار الرُّوح، فأغاثها الحكماء الربانيون، وأنصار الإنصاف، والعلماء المصلحون وحزب الله المفلحون"، وقد استدل في هذه العبارة بفئة من العقلاء والثِّقات ليثبت حجَّة كلامه، فاستعمل أرقى الأوصاف وأنبأ الفئات، ومعروف عنه أنَّه مُحاجِّجٌ بكلامه مقنع في خطابه.

5.1.5. الإعلانيات Declarations: لا تحتاج هذه الأفعال لشرط الإخلاص، وتكون حين التَّلَفُظ ذاته<sup>28</sup>، ونجاح هذه الأفعال حين تطابق العالم الخارجي، وما يميزها هي أن تُحدِثَ تغيُّراً في الوضع القائم<sup>29</sup>، إذن فهي تدلُّ على كل فعلٍ يؤدي غرضاً إعلانياً، ومثال ذلك: "استغاثت الإنسانية بأبنائها الصادقين على أبنائها المارقين"، "محاربة الفقر والأخذ بيد الفقير"، "الدَّعوة إلى تحكيم العقل كيوم صقِّين ونبذ تحكيم السِّيف"، فهي أفعال تطابق العالم الخارجي لها دفع لتغيير الوضع القائم، فهو يعلن بأنَّ الإنسانية إذا استغاثت تستغيث بالبرة والعقلاء الذين لا ينجرون وراء أذيال الفتنة، وضرب لنا مثلاً بموقعة صفين والجمل، فأعلن من خلالهما، أنَّ حزب الله المفلحون هم من حَكَّموا العقل ونبذوا العنجهية وحد السِّيف، بأنَّ الاتحاد في وجه المستدمر أمر لا بد منه.

2.5. حِجَاجِيَّة التَّكْرَارِ: يستند المُحاجِّج إلى جملة من الوسائل لتحقيق صحة دعواه تحقيقاً لإقناع المُخاطَب، ومن بين هذه الوسائل التَّكرار.

#### 1.2.5. مفهوم التَّكرار لغة:

والكَرُّ: الرجوع عليه، ومنه التَّكرار، والكَرِيرُ: «صوت في الحلق كالْحَشْرَجَةِ، والكَرِيرُ: بحة تعتري من الغبار»<sup>30</sup>. وجاء في اللِّسان أنَّ مادة كرر من: «الكَرُّ: الرُّجُوعُ. يُقَالُ: كَرَّهَ وَكَرَّرَ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، والكَرُّ: مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وَكُرُورًا وَتَكَرَّرًا: عَطَفَ، وَكَرَّرَ عَنْهُ: زَجَعَ، وَكَرَّرَ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ: وَرَجُلٌ كَرَّارٌ وَمَكْرٌ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ، وَكَرَّرَ السَّيِّءَ وَكَرَّرَهُ: أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَالكَرَّةُ: الْمَرَّةُ، وَالْجَمْعُ الْكَرَّاتُ. وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وَكَرَّرْتُهُ إِذَا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ، وَكَرَّرْتُهُ عَنْ كَذَا كَرَّرَةً إِذَا رَدَّدْتُهُ، والكَرُّ: الرُّجُوعُ عَلَى السَّيِّئِ وَمِنْهُ التَّكَرُّارُ. وَالتَّكَرُّرُ بِمَعْنَى التَّكَرُّارِ»<sup>31</sup>.

ويترتب على ما ورد في المعاجم أنَّ التَّكرار يعني الرُّجُوع والإِعَادَة والمُعَاوَدَة والتَّرْدِيد.

2.1.5. اصطلاحاً: فالتَّكرار وسيلة حجاجية وهو ظاهرة لسانية تتميز بها اللُّغة العربية، يساهم في تماسك النَّص، وهو يتحقق بتكرار الحروف والكلمات والجمل<sup>32</sup>، وكما أنَّ التَّكرار يوفر للحجاج طاقة مضافة تؤثر على المُتلقِي ويساعد على إقناعه وإبلاغه وإفهامه<sup>33</sup>.



ووقفنا على هذا الرأي مفاده أنَّ التَّكرار هو «المُمثل للبنية العميقة الَّتِي تحكم حركة المعنى في مختلف أنواع البَدِيع، ولا يمكن الكشف عن هذه الحقيقة إلَّا بتتبع المفردات البَدِيعية في شكلها السَّطحي ثمَّ ربطها بحركة المعنى»<sup>34</sup>.

وتأسيسًا على التَّعاريف السَّابقة، فإنَّ التَّكرار له دور أساس في الحِجاج غايته الإقناع والإمتاع والإبلاغ يَكْتَفِ المعنى ويجعل له حركيَّةً وتوكيدًا.

ومن هنا نُثر التَّكرار في مقال الإبراهيميِّ وفق ما هو مبين في الجدول الآتي:

| الكلمة    | تكرارها |
|-----------|---------|
| الإنسانية | 06      |
| الأمّ     | 02      |
| تمثلت     | 02      |
| تستغيث    | 19      |
| مصائب     | 05      |
| ويلات     | 03      |
| رمح       | 02      |
| ندري      | 07      |
| حتّى      | 03      |

والبيّن أنَّ الألفاظ الَّتِي تكررت لم تكررْ اعتبارًا بل لدلالة ومنفعة، حيث إن ما كُرّر هو بؤرة ومحور المقال وأنَّ سابقها ولحقها متعلق بها دلاليًا وحجاجيًا، فتكرار الإنسانية ست مرات يدلُّ على أنَّ المتكلم يؤكد على موضوعه والظاهر في العتبة الأولى في خطابه ألا وهو العنوان، وكَرَّرَ تستغيث وما شاكلها تسع عشرة مرّة ويوحى تكرارها على توكيد حال الإنسانية المُثخنة بالمصائب هذا المشهد التصويري الَّذِي كُرّر خمس مرات.

وكَرَّرَ ندري ولا ندري سبع مراتٍ على بؤر متوترة ليلبغنا أنَّه في جو مشحون متردد تظهر من خلاله عاطفته وصدق نواياه ودليل كلامنا أنَّه ختم مقاله بعبارة " هذه نفثة مصدور وللنفوس ثورة ثمَّ تسكن".



وحقيق بنا أن نقول إنَّ التَّكرارَ وسيلةَ حِجاجيةٍ يبلغ بها المُخاطَبُ مقاصده للمُخاطَب رجاء تثبيتها وإبلاغها، وكما يُساهم في التَّماسك النَّصي وتكثيف المعنى.

3.5. الرِّوَابُطُ والعَوَامِلُ الحِجَاجِيَّة: إنَّ من اللِّوَاظِم التي تقوم بهيكله ودعم الحِجَاج، الرِّوَابُطُ والعَوَامِلُ الحِجَاجِيَّة، والرِّابُط من الجذر «رَبَطَ الرَّاءُ وَالْبَاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَثَبَاتٍ، مِنْ ذَلِكَ رَبَطْتُ الشَّيْءَ أَرَبَطُهُ رَبْطًا؛ وَالَّذِي يُشَدُّ بِهِ رِبَاطٌ»<sup>35</sup>، وهي من بين الأمور التي تساعد في انسجام الخطاب واتِّساقه وثبات معناه، والحاملة للبعدين التَّدَاوِي والتَّجَاجِي.

1.3.5. الرِّوَابُطُ الحِجَاجِيَّة: هي «عبارة عن وحدات صرفية تؤدي وظيفة الرِّبَاط داخل الخطاب نفسه»<sup>36</sup>، فهي دعامة في ترتيب الحِجَاج وربط النَّتَاج بالمُقَدِّمات داخل الخطاب<sup>37</sup>، وتربط بين قولين أو حُجَّتَيْن ويمكن التَّمثِيل لها بـ: بل لكن، حتَّى، لاسيما، إذن، لأن، إنَّ، أن، قد ...<sup>38</sup>، ومن هنا يمكن القول أنَّ الرِّوَابُطُ تساهم باللُّغَة في بناء الخطاب وتجعل له تراتبية حِجاجية تُثير المُخاطَب وتستدرجه.

وقد ورد في مقال الإبراهيمي عدَّة روابط مثل: حتَّى ظاهرتها، حتَّى تظاهرتها، حتَّى قيض الله له، هو أنَّه لو تساند أغنياء الأمم، ... ولكنَّه رمح ثانٍ، بل لو بذل، ثمَّ تسكن ... فمثلاً حتَّى تُعدُّ رابطاً حجاجياً وظيفته الإقناع والربط بين الحُجج والنَّتَاج، فيحُجَّة أنَّ الإنسانية استغاثت من الاستبداد والاستعباد، كانت النَّتِيجَة أن قيض الله لها فيلسوف المعرة ناسخاً لتلك الشريعة الجائرة.

لكنَّ رابطاً حجاجيَّ يفيد الاستدراك، يربط بين حُجَّتَيْن الثَّانِيَة أقوى من الأولى فتجعل الكلام في سُلْمية حجاجية، فقد أورد الإبراهيمي بيتاً شعرياً، حجة العُجْز أقوى من حُجَّة الصَّدر لكونها سُبقت بـ "لكن" في قوله:

ولو كان رمحاً واحداً لإتقيته      ولكنَّه رمح وثانٍ وثالث

بل رابطاً حجاجيَّ تداوليَّ يفيد الإضراب؛ أي الجملة الثَّانِيَة تنفي الجملة الأولى، بل لو بذل المسلمون الرِّكَاة لدفعوا غائلة الفقر، فهذا توجيهه للسامع بغية تحقيق المنفعة والإقناع معاً.

وجاء الرابط أنَّه في معرض التَّفْسير والتوكيد ليقدم موضوع الحِجَاج ويثبت صحة دعواه، ونجد وبكثرة حُرْفِي العطف الواو والذي ذُكر "51" مرةً والفاء والذي ذُكر "14"، وهما رابطان حجاجيان يتسمان بالقوة الإقناعية وربط الحِجج ببعضها البعض ويحققان التَّأثير.

2.3.5. العَوَامِلُ الحِجَاجِيَّة: أمَّا العَوَامِلُ الحِجَاجِيَّة فوظيفتها حصر الإمكانيات الحِجَاجِيَّة التي تكوّن لقول ما، وهي ليست كالرِّوَابُط تربط بين حُجَّة وحُجَّة، ويمكن التَّمثِيل لها بأدوات الحصر، ربما، ما، النَّفي، الشَّرْط،



الاستثناء ...<sup>39</sup> ، ومن نافلة القول إنَّ العوامل «تعكس الوظيفة البلاغية لهذه الأقوال بحصرها المعنى وتقييده بوجهة واحدة لا تخطئ التأثير في الآخر»<sup>40</sup> ، ومن البَيِّن أنَّ العوامل الحجاجية تؤدي دورًا فاعلاً في التَّخاطب والإبلاغ وتوجيه المعنى وتحقيق التأثير، هذا وقد وجدنا في مقال الإبراهيمي عدَّة عوامل مثل: لا ندري، إنَّما الذي ندرية، لو تساند أغنياء الأمم، ولو فعلوا ذلك .... من هنا يتجلى الخطاب الإقناعي بعدما وظَّف الإبراهيمي الشرط والحصر والتَّفي، فكلُّها تتصف بالحجَّة، فمثلاً: لو حرف شرط الذي يفيد الامتناع لامتناع والموظف في: لو تساند أغنياء الأمم ولو فعلوا ذلك لدفعوا غارة الفقر، فامتنع العيش الكريم للفقراء لامتناع مساندة الأغنياء لهم.

نخلص من خلال هذا كله أنَّ الرِّوابط والعوامل حققت ربطاً حجاجياً تداولياً ساهم في اتساق المقال وانسجامه؛ وهذا ما يساعد في تبليغ المقاصد.

5.5. حِجَّةُ الاستعارة: الاستعارة من أهم الآليات الحجاجية؛ وهي «أن يُستعار للشيء اسمٌ غيره، أو معنى سواه»<sup>41</sup> ، أو أنَّها «تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقام مقامه»<sup>42</sup> ، فهي أداة من أدوات التَّبليغ لها تأثير على المُتلقي، ونظراً لما تقدمه من أداءات فكرية ومعرفية تتصل بالتَّأويل ويؤدي القول الاستعاري أداء حجاجياً فاعلاً يرقى إلى أعلى درجات السُّلم الحجاجي<sup>43</sup> ، فهي تُعدُّ خطاباً حجاجياً منجزاً أيضاً، لذلك كلُّه؛ فإنَّ للاستعارة طاقة حجاجية تهدف لإثارة وإقناع المُخاطب، لما تحمله من تلميحات وإضممار، لكونها مجازاً، و «لا حجاج بغير مجاز»<sup>44</sup> ، وتدخل الاستعارة ضمن الوسائل اللُّغوية التي يركّز عليها المُتكلم لتوجيه المُخاطب، ومن ثَمَّة تحقيق أهدافه الحجاجية أيضاً<sup>45</sup> .

ولمَّا عدنا لخطاب الإبراهيمي وجدنا به استعارات، وهذا ببيانها: ويتوسلون بالدين – هذه الإنسانية المسكينة – الإنسانية تستغيث – ويمتصون دماء البسطاء البائعين للشفاعة – وعرفوا كيف يحاربون الفقر ... ويسوقنا هذا كلُّه للقول أنَّ الأداء الاستعاري يتميز بالحجاجية والجمالية أكثر من القول العادي، فهو استمالة للمخاطب لإشغال ذهنه، وإذا وقع على فهم كُنْه سيتبنى الرأي وهذه قمة الحجاج والتَّبليغ، فمثلاً: هذه الإنسانية المسكينة – الإنسانية تستغيث؛ فقد شبهت الإنسانية بالأمِّ الرؤوم المسكينة المستغيثة، فحذف المشبه به واستعار الاستغاثَة لأنها أبلغ وأكثر استمالة للقلوب قبل التَّهي بغية التأثير على عاطفة الإنسان بصفة أعم.

6.5. حِجَّةُ البديع: البشير الإبراهيمي رَجُلٌ رشيْقُ القلم، طَلَّغَ ثَنَايا البديع، تمتاز خطبه بالجمالية؛ حيث زواج بين الإقناع والإمتاع، فعلم البديع «هو العلم الذي تُعرِّف به المحسنات الجمالية المعنوية واللفظية المنثورة، التي لم تُلحَقْ بعلم المعاني، ولا بعلم البيان»<sup>46</sup> ، هذا وقد «أصبح للبديع أفق جديد يمكن استشرافه من منظور اللسانيات وهو فاعلية في ربط أجزاء النَّص»<sup>47</sup> ، ويترتب على هذا القول إنَّ للبديع منحا تداولياً يتجلى في إقناع المُخاطب واستمالاته لتكون للفعل تأثيراً من خلال الجمالية.



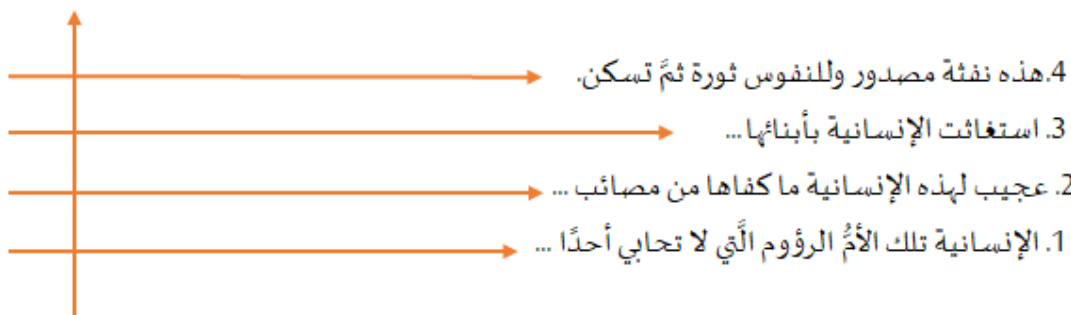
وتنقسم المحسنات الجمالية إلى معنوية ولفظية ذاتا طاقة حجاجية، وقد لمسنا أنواعها بجلاء في خطاب الإبراهيمي، وهذا بيانها:

1.6.5. الطَّباق: هو محسن تنمقي يعني «الجمع بين الشيء وضده في الكلام»<sup>48</sup>، حيث إنّه أداة حجاجية تُزاج بين الإمتاع والإقناع وهدفها توكيد المعاني وتديبها، وتظهر الطّاقة الإقناعية التأثيرية له حين تأتي بالمعاني المضادة، وقد ورد مثل هذا في مدونتنا، مثل: "بار ≠ فاجر / كافر ≠ مؤمن / قوي ≠ ضعيف / شريف ≠ مشروف / النّفع ≠ الضّر / السّادة ≠ العبيد / ندرى ≠ لا ندرى"، يُبيّن الإبراهيمي من خلال هذه المطابقة بين البار والفاجر وبين الكافر والمؤمن؛ أنّ الإنسانية أمّ رؤوم لا تفرق بين هؤلاء، فالطباق أتى مبيّنًا لهم عدم التّمييز بينهم وأنّ لهم شأن في أوطانهم مهما كانت صفاتهم، وهذا لعمري قمة التأثير والاستمالة.

ثمّ وصف الإنسانية بالمسكينة وأتى بتناقضات ومطابقات ليبيّن ذلك ويؤكد دعواه، حين رأى فيها الطبقية من خلال القوي يستعبد الضعيف والشّريف يستخدم المشروف، ويستعملون سلاح النّفع للضّر والتّمايز الحاصل بين السّادة والعبيد، ثمّ نجد أنّه في حيص وبيص من خلال هذه المفارقات، ويتجلى ذلك في ملفوظ ندرى ولا ندرى فهو في ريبة من أمره، وهذا ما زاد المعاني قوة إقناعية مفادها أنّ الإنسانية في وضع غير مستقرّ مشحونٍ بالثنائيات الضّدية.

2.6.5. أمّا الجناس: فهو محسن بديعي يقصد به «ما اتفق فيه اللفظان في أمورٍ أربعةٍ هي: نوع الحروف وشكلها، وعددها، وترتيبها»<sup>49</sup>، ونرى استعماله في المقال مثل: الاستبداد – الاستعباد والمصلحون – المفلحون، فالإبراهيمي استعمل الجناس غير التّام لحاجة في نفسه، ألا وهي جذب المخاطب بالإيقاع والجرس والذي يؤثر في نفسيته وجعله ينصت ويدعن لحُججه، فهو بهذا يزاج بين الإمتاع والاستمالة.

7.5. السُّلم الحجاجي للأنموذج: السُّلم الحجاجي هو ترابعية الحُجج وبراهين تتقدم وتتأخر بحسب طاقتها الحجاجية وقوتها الإنجازية لها علاقة بالنتيجة هي علاقة ترتيبية للحُجج المنتمية لفئة حجاجية تخدم نتيجة<sup>50</sup>، فالإبراهيمي في طرح رأيه ودعمه بالأدلة اتّخذ سُلماً؛ حيث ربّب الحُجج بقدر قوتها وحجيتها.

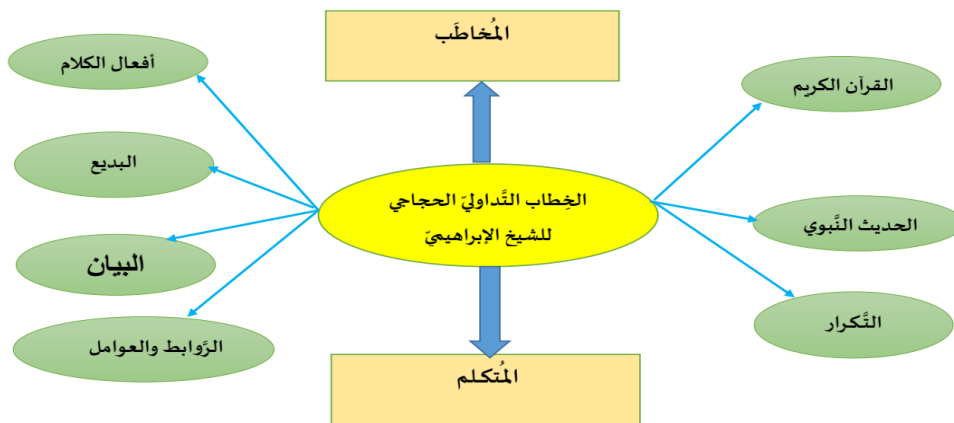




ولا بد هنا من التأكيد أنّ الحُجّة "2" أقوى حُجّة من "1" و"3" أقوى من "2"، أما "4" فهي الأقوى من الكل، وهكذا جاءت الحُجج تتّرى، وبهذا النّسق تتجلى قوة السّلم الحجاجي من خلال التّراتبية الّتي تُحدثها قوى البرهان والبيان، والّتي تستميل المُخاطَب.

ونلاحظ جليّاً هذا الرابط "هذه نفثة مصدور"؛ فهو نقطة فاصلة في الخطاب ورابط حجاجي وإبلاغ من المتكلم بوجوده، فجعل منه مسافةً جماليةً وتغيّراً لأفق وبداية أفق آخر، جاعلاً المُخاطَب في ترصد وترقبٍ دائمين.

### خطاطة الدّعاء الحجاجية لتكوين الخطاب التّداولي الإبراهيمي



### خاتمة:

إنّ حُطَب ومقالات الشّيخ البشّير الإبراهيمي تكتسي بعباءة الحجاج والتّداولية، وهي ذات بعد إقناعي استِماليّ تؤثر في القارئ بعدّة أدوات إجرائية كالأفعال الكلامية والعوامل والرّوابط الحجاجية والتّكرار والاستعارة والبدیع بتقسيماته؛ إذ يحاول تثبيت الرّأي الغور إلى معنّى متّين معين، كما استخلصنا من الدّراسة بعض النّتائج أهمّها:

1. الحجاج عملية إبلاغية تواصلية تحمّل المُخاطَب على الإقناع برأي ما.
2. التّداولية علم للتّواصل ولدراسة اللّغة في الإستعمال بغية التأثير والإنجاز.
3. الحجاج من مجالات التّداولية، وهذا ما وجدناه عند ديكره صاحب مشروع التّداولية المدمجة في الدّلالة والّتي تهتم بالسّمات الحجاجية للألفاظ.
4. الأفعال الكلامية إجراء تواصلية يعتمد على التأثير في المُخاطَب لينجز هاته الأفعال فعلاً وقولاً، وهذه وظيفة حجاجية.



5. التكرار يساعد على التماسك النصي وتكثيف المعاني ويجعل له حركيةً وتوكيداً، غايته الإقناع والإمتاع والإبلاغ.
  6. الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية حققت ربطاً حجاجياً تداولياً، وساهمت في اتساق المقال وهيكلته قصد تبليغ المقاصد.
  7. الاستعارة من أهم الآليات الحجاجية تتسم بالإقناع والجمالية والتبليغ وهي أبلغ من الكلام العادي لتحقيقها التفاعل والتشخيص.
  8. البديع منحى تداولي ذو طاقة حجاجية يظهر في إقناع المخاطب واستمالاته يواشج بين الإقناعية والجمالية.
- الهوامش:

### هوامش البحث:

- <sup>1</sup> آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 1978، ج 01، ص 27 – 28.
- <sup>2</sup> ينظر: محمود أدهم، فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق -المقال الصحفي-، مكتبة الأنجلو المصرية، ج 01، ص 12.
- <sup>3</sup> ينظر: محمد عدیل، الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 01، 2016، ص 28.
- <sup>4</sup> جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر -بيروت -، مادة دول، ط 03، 1414 هـ، ج 11، ص 252.
- <sup>5</sup> أبو بكر بن دريد، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين -بيروت-، ط 03، 1987م، ص 1273.
- <sup>6</sup> ينظر: عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية-دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي-، إربد -الأردن-، عالم الكتب الحديث، 2014، ص 97.
- <sup>7</sup> مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب-دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي -، ط 1، بيروت -لبنان-، دار الطليعة، 2005، ص 16.
- <sup>8</sup> سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، إربد -الأردن-، عالم الكتب الحديث، 2011، ص 16.
- <sup>9</sup> ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب - مقارنة تداولية -، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت -لبنان-، ط 01، 2004، ص 24.
- <sup>10</sup> جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج، ج 02، ص 228.
- <sup>11</sup> مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، ج 05، ص 460.
- <sup>12</sup> أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الأردن، ط 01، 2008، ج 01، ص 444.
- <sup>13</sup> ينظر: عبد الجليل العشراوي، في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012، ط 01، ص 10.
- <sup>14</sup> سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 21.
- <sup>15</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 1997، ص 226.



- <sup>16</sup> حافظ إسماعيلي علوي ومحمد أسيداه، اللسانيات والحجاج المغالط - نحو مقارنة لسانية وظيفية -، عالم الكتب الحديث، عمان، 2010، ج 03، ص 270.
- <sup>17</sup> خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009، ص 105.
- <sup>18</sup> ينظر، المرجع نفسه، ص 69.
- <sup>19</sup> عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 261.
- <sup>20</sup> ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص 45، 47، 79.
- <sup>21</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 80.
- <sup>22</sup> ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 95.
- <sup>23</sup> ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 264.
- <sup>24</sup> جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 90.
- <sup>25</sup> ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 71.
- <sup>26</sup> ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 71.
- <sup>27</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 80.
- <sup>28</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 80.
- <sup>29</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 80.
- <sup>30</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ج 08، ص 277.
- <sup>31</sup> جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة كزر، ج 05، ص 135.
- <sup>32</sup> ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية - دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي -، ص 213.
- <sup>33</sup> ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 168.
- <sup>34</sup> محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط 01، 1995، ص 109.
- <sup>35</sup> أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج 06، ص 478.
- <sup>36</sup> جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 151.
- <sup>37</sup> ينظر: محمد عدیل، الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة، ص 197.
- <sup>38</sup> ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدية في الطبع، الدار البيضاء، ط 01، 2006، ص 27.
- <sup>39</sup> ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.
- <sup>40</sup> أبو بكر العزاوي، الحجاج بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 01، 2020، ص 185.
- <sup>41</sup> أبو العباس ثعلب، قواعد الشعر، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 02، 1995، ص 53.
- <sup>42</sup> عبد الله بن المعتز، البديع في البديع، دار الجبل، بيروت، ط 01، 1990، ج 01، ص 23.
- <sup>43</sup> ينظر: محمد عدیل، الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة، ص 197.
- <sup>44</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 213.
- <sup>45</sup> ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 267.



- <sup>46</sup> عبد الرحمن الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1996، ج 02، ص 369.
- جميل عبد المجيد، بلاغة النص – مدخل نظري ودراسة تطبيقية -، دار عريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،  
<sup>47</sup> 1999، ص 15.
- <sup>48</sup> أحمد الهاشي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص 303.
- <sup>49</sup> أحمد الهاشي، المرجع نفسه، ص 325.
- <sup>50</sup> ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 20.